@ 342 @ وقصدهم قبحهم ا فيما بينهم ، أنهم غير مكترثين بذلك ، ولا مهتمين به . لأنه إذا لم يبلغه ، فهذا مطلوبهم ، وإن بلغه ، اكتفوا بمجرد الاعتذار الباطل . فأساءوا كل الإساءة ، من أوجه كثيرة ، أعظمها أذية نبيهم ، الذي جاء لهدايتم ، وإخراجهم من الشقاء والهلاك ، إلى الهدى والسعادة . ومنها : عدم اهتمامهم أيضا بذلك ، وهو قدر زائد على مجرد الأذية . ومنها : قدحهم في عقل النبي صلى ا عليه وسلم ، وعدم إدراكه ، وتفريقه بين الصادق والكاذب . وهو أكمل الخلق عقلا ، وأتمهم إدراكا ، وأثقبهم رأيا وبصيرة ، ولهذا قال تعالى : ! 2 2 ! أي : يقبل من قال له خيرا وصدقا . وأما إعراضه وعدم تعنيه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار الكاذبة ، فلسعة خلقه ، وعدم اهتمامه بشأنهم ، وامتثاله لأمر ا في قوله : ! 2 2 ! . وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه ، فقال عنه : ! 2 2 ! الصادقين المصدقين ، ويعلم الصادق من الكاذب ، وإن كان كثيرا ما يعرض عن لذين يعرف كذبهم وعدم صدقهم . ! 2 2 ! فإنهم به يهتدون ، وبأخلاقه يقتدون . وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة ، بل ردوها ، فخسروا دنياهم وآخرتهم . ! 2 ! 2 بالقول والفعل ! 2 2 ! في الدنيا والآخرة . ومن العذاب الأليم ، أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمه . ! 2 2 ! فيتبرأوا مما صدر منهم من الأذية وغيرها . فغايتهم أن ترضوا عليهم . 2 ! 2 ! لأن المؤمن لا يقدم شيئا على رضا ربه . فدل هذا ، على انتفاء إيمانهم ، حيث قدموا رضا غير ا ورسوله . وهذا محادة ، ومشاقة له ، وقد توعد من حاده بقوله : ! 2 2 ! بأن يكون في حق وشق مبعد عن ا ورسوله بأن تهاون بأوامر ا ، وتجرأ على محارمه . ^ (فأن له نار جهنم خالدا فيها وذلك الخزي العظيم) ^ الذي لا خزي أشنع ولا أفظع منه ، حيث فاتهم النعيم المقيم ، وحصلوا على عذاب الجحيم عياذا با من حالهم . ^ (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن ا مخرج ما تحذرون * ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبا وآياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طآئفة منكم نعذب طآئفة بأنهم كانوا مجرمين) ^ كانت هذه السورة الكريمة تسمى (الفاضحة) لأنها بينت أسرار المنافقين ، وهتكت أستارهم ، فما زال ا يقول : ومنهم ومنهم ، ويذكر أوصافهم ، إلا أنه لم يعين أشخاصهم لفائدتين : إحداهما : أن ا ستير ، يحب الستر على عباده . والثانية : أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين ، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلى يوم القيامة ، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب ، حتى خافوا غاية الخوف . قال ا تعالى : ! 2 2 ! . وقال هنا : ! 2

2 ! أي : تخبرهم وتفضحهم ، وتبين أسرارهم ، حتى تكون علانية لعباده ، ويكونوا عبرة للمعتبرين . ^ (قل استهزئوا) ^ أي : استمروا على ما أنتم عليه ، من الاستهزاء والسخرية . ! 2 2 ! وقد وفى تعالى بوعده ، فأنزل هذه السورة التي بينتهم وفضحتهم ، وهتكت أستارهم . ! 2 2 ! عما قالوه من الطعن في المسلمين ، وفي دينهم ، يقول طائفة منهم في غزوة تبوك : (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء يعنون النبي صلى ا عليه وسلم وأصحابه أرغب بطونا وأكذب ألسنا ، وأجبن عند اللقاء) ونحو ذلك . ولما بلغهم أن النبي صلى ا عليه وسلم قد علم بكلامهم ، جاؤوا يعتذرون إليه ويقولون : ! 2 2 ! أي نتكلم بكلام ، لا قصد لنا به ، ولا قصدنا الطعن والعيب . قال ا تعالى مبينا عدم عذرهم وكذبهم في ذلك : ! 2 2 ! لهم ^ (أبا وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) ^ فإن الاستهزاء با ورسوله ، كفر مخرج عن الدين ، لأن أصل الدين ، مبني على تعظيم ا ، وتعظيم